آثار الحروب على الاطفال

د/ سميرة السقا

قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 2

ملخص:

إن آثار الحروب على الأطفال كانت مدمرة أينما كانت، فالأطفال العرب عامة والأطفال الفلسطينيين خاصة، عانوا كثيرا من آثار ها جسمانيا او نفسيا... مما يعكس مختلف مظاهر انتهاك حقوقهم، فهناك دول عاشت سلالات وأجيال في الحرب، مثل الطفل الجزائري الذي عانى عبر أجيال من الاستعمار، ناهيك عن العشرية السوداء. كما نجد أن الطفل الفلسطيني، حيث أن أباه وأمه بل اجداده عانوا من الحرب في طفولتهم منذ أكثر من 60 عاما وما زالوا يعانون، ولا ندري الى متى ستبقى الحروب والاعتداءات اليومية على فلسطين، فالمعاناة مستمرة يوميا دون توقف.

ان معاناة الطفل الفلسطيني وتعرضه لهتك شخصيته، أصبح واضحا للعيان حيث ان الإحصائيات تؤكد ازدياد عدد الاطفال المعاقين بسبب الحرب ناهيك عن الآثار النفسية السلبية، ولا ننسى الاطفال الاسرى المعتقلين خلف القضبان الإسرائيلية، الذين يعانون من شدة سوء المعاملة والضرب وكسر العظام، وسوء التغذية وسجنهم مع مساجين جنائيين إسرائيليين بالغين. والأطفال الشهداء الذين ماتوا بعد رعب القصف والغارات؛ ان العدوان الاسرائيلي 2008_2009 الذي دام 22 يوم قتل 320 طفل اعزل.

الكلمات المفتاحية : طفل، أعزل، معاناة، عدوان، انتهاك الحقوق.

The effects of war on children

Dr/ Samira Al Sakaa
Department of Sociology, University of Algiers 2, Algeria

Abstract:

The effects of war on children have been devastating wherever they may be, Arab children in general and Palestinian children in particular have suffered many physical and psychological effects ... reflecting the various manifestations of the violation of their rights, there are nations that have lived through generations and generations of war, such as the Algerian child who suffered through generations of colonialism, not to mention the black decade. We also find that the Palestinian child, whose father and mother and even his ancestors suffered from the war in their childhood for more than 60 years and are still suffering. We do not know how long the daily wars and attacks on Palestine will continue.

The suffering of the Palestinian child and the aggression of his personality became evident as the statistics confirm the increase in the number of children disabled by war, not to mention the negative psychological effects, and do not forget the child prisoners behind Israeli bars who suffer from severe abuse, beatings and broken bones, malnutrition and imprisonment with Israeli adult criminal prisoners. And the martyrs who died after the terror of bombing and raids; that the Israeli aggression 2008-2009, which lasted 22 days, killed 320 isolated children.

Keywords: child, unarmed, suffering, aggression, violation of rights.

Effets des guerres sur les enfants

Dr/ Samira Al Sakaa
Département de Sociologie, Université d'Alger 2

Résumé :

Les effets de la guerre sur les enfants ont été dévastateurs où qu'ils soient, les enfants arabes en général et les enfants palestiniens en particulier ont subi de nombreux effets physiques et psychologiques… reflétant les diverses manifestations de la violation de leurs droits.

Il y a des nations qui ont traversé des générations et des générations de guerre, comme l'enfant algérien qui a souffert à travers des générations de colonialisme, sans parler de la décennie noire ; Nous constatons également que l'enfant palestinien, comme son père et mère et même ses ancêtres, ont souffert de la guerre dans leur enfance pendant plus de 60 ans, et qu'ils souffrent encore, nous ne savons pas pour combien de temps les guerres et les attaques contre la Palestine continueront.

La souffrance de l'enfant palestinien et les agressions contre sa personnalité sont devenues évidentes lorsque les statistiques confirment l'augmentation du nombre d'enfants handicapés par la guerre, sans parler des effets psychologiques négatifs, et n'oublions pas les enfants emprisonnés derrière les barreaux israéliens qui subissent de graves sévices, des coups, des fractures, la malnutrition et des peines de prison avec des prisonniers criminels adultes israéliens. Et les martyrs qui sont morts après la terreur des bombardements et des raids, que l'agression israélienne de 2008-2009, qui a duré 22 jours, ont tué 320 enfants ont été isolés.

Mots-clés : enfant, sans armes, souffrance, agression, violation des droits.

مقدمة:

الحروب دائما مدمرة، اينما كانت واينما وقعت لكن للأسف هي مستمرة منذ أقدم العصور الى وقتنا هذا، فهي دائما جريمة ضد الانسانية، ولا تخلف الى الدمار والخراب والتشرد والعاهات المستديمة. الانسان ضحية هذه الحروب ناهيك عن الاثار النفسية والسيكولوجية على بني البشر سواء كانوا كبارا او صغارا. اما بالنسبة للطفل فهي مدمرة نفسية وتبقى ترافقه طيلة حياته، وتؤثر على تصرفاته ونظرته لهذا العالم وتبقى محفورة في عقله الباطن حتى وان حاول التخلص منها بانشغاله في حياته اليومية ولكن ما تليت ان تعود اليه بدرجات احيانا قوية مدمرة وأحيانا اخرى اقل ضررا ويحاول هو نفسه ان استطاع ان يجعل منها أخف ضررا.

ومن سوء حظنا اننا في منطقة استراتيجية حساسة عرفت أقدم الحضارات منذ الخليقة وتداولت عليها تلك الحضارات مخلفة الدمار والخراب والقتل وفقدان مواطنيها. وتدمير العائلة التي هي اساس المجتمع واولى خليته بقتل وفقدان الاب او الام او الاخوة او الاخوات مما ينتج عنه الماسي التي لا اول لها ولا اخر علاوة على تدمير البيوت وفقدان كل ما لديه ويصبح يعيش في العراء وان وجدت الاسرة خيمة فهي محظوظة وتنتظر المساعدات والتبرعات وقد لا يصلها الدور وتنتظر طويلا او قصيرا احيانا. وانتظار المنظمات الدولية ولا سيما التي توفر المواد الاولية بالدرجة الاولى لسد الرمق. فهي مفروض عليها ان تأكل ما تبرع به الاخرين، وليس لها الحق في الاختيار وتلبية رغبات اطفالها.

آثار الحروب على الأطفال العرب:

عرف الطفل حسب اتفاقية حقوق الطفل التي اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة (بموجب قرارها المرقم 25/44 المؤرخ في 20 تشرين الثاني /1989) في مادتها الأولى: بأنه كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة؛ ونص المبدأ الثاني أنه يجب أن

يتمتع الطفل بحماية خاصة، وأن يمنح بالتشريع وغيره من الوسائل، الفرص والتسهيلات اللاّزمة لإتاحة نموه الجسمي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي، نموا طبيعيا سليما في جوّ من الحرية والكرامة، وتكون مصلحته العليا محل الاعتبار الأول في سن القوانين لهذه الغاية.

وقد نص كل من المبدأ السابع والثامن والتاسع على أن للطفل حق في تلقي التعليم، وتمكينه على أساس تكافؤ الفرص، من تنمية ملكاته وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية، ومن أن يصبح عضوا مفيدا في المجتمع، ويجب أن تكون مصلحة الطفل العليا هي المبدأ الذي يسترشد به المسؤولين عن تعليمه وتوجيهه.

وتقع هذه المسؤولية بالدرجة الأولى على ابويه، وأن يكون في جميع الظروف بين أوائل المتمتعين بالحماية والإغاثة، كذلك نص المبدأ العاشر بأنه يجب أن يحاط الطفل بالحماية من الممارسات الوحشية والحروب التي لا تحمل في أحشائها سوى الألم والموت والمعاناة للأنفس البريئة..، حيث تتعلق هذه الأيام أعين الجميع بشاشات الفضائيات لمتابعة أخبار الحرب التي تدور رحاها في عدد من الدول العربية....

ولكن هناك ما نشاهده ومالا نشاهده... فما نشاهده هي تلك الصور المؤلمة للمصابين والقتلى والدمار، وقد يكون الزمان كفيل بتجاوزها ونسيانها، ومالا نشاهده ولا يمحوه الزمن هو الأثر النفسي الذي ستتركه هذه الحروب بداخل كل من عاصرها وعايش الرعب والقلق، وفقد عزيز أو قريب أو منزل يستظل بظله ليجد نفسه في العراء، فالسلاح الأشد فتكاً في هذه الحروب هو التدمير النفسي الذي يدمر التوازن النفسي للمدنيين وعلى وجه الخصوص الأطفال.

ولعلنا في العالم العربي لا نعطي اهتماماً كبيراً بالرعاية النفسية والوسائل المطلوبة لاحتواء ردة فعل الصدمات على الأطفال أثناء الحرب؛ في حين أن غالبية المختصين

يؤكدون أن أخطر آثار الحروب؛ هو ما يظهر بشكل ملموس لاحقاً في جيل كامل من الأطفال سيكبر من ينجو منهم، وهو يعاني من مشاكل نفسية قد تتراوح خطورتها بقدر استيعاب ووعي الأهل لكيفية مساعدة الطفل على تجاوز المشاهد التي مرت به...

ومن الممكن تفادي هذه الحالات فقط إذا تذكر أحدهم الجانب النفسي للطفل في هذه الأوقات العصيبة؛ فمثلا في العراق وحسب ما ورد على لسان أحد ممثلي الأمم المتحدة، أكثر من نصف مليون طفل عراقي من الأرجح أنهم سيكونون بحاجة إلى علاج نفسي من جراء الصدمة النفسية التي تعرضوا لها خلال الحرب، حيث يقول **كاريل دي روي**:" هناك 5.7 مليون طفل عراقي في المدارس الابتدائية ونتوقع أن يحتاج 10% على الأقل من هؤلاء الأطفال إلى علاج نفسي من صدمات تعرضوا لها خلال الحرب ".

كذلك تؤكد الدكتورة " **نعمة البدراوي** " أخصائية الطب النفسي: ((تعتبر الصدمات التي يتعرض لها الطفل بفعل الإنسان أقسى، مما قد يتعرض له من جراء الكوارث الطبيعية وأكثر رسوخاً بالذاكرة، ويزداد الأمر صعوبة إذا تكررت هذه الصدمات لتتراكم في فترات متقاربة...، وتعيق الكشف عن هذه الحالات لدى الأطفال صعوبة تعبيرهم عن شعورهم أو الحالة النفسية التي يمرون بها، بينما يختزلها العقل وتؤدي إلى مشاكل نفسية عميقة، خاصة إذا لم يتمكن الأهل أو البيئة المحيطة بهم من احتواء هذه الحالات ومساعدة الطفل على تجاوزها)).

ومن أهم الحالات التي يتعرض لها الأطفال خلال الحروب:

. سوء التغذية في المناطق الفقيرة؛ . المرض؛ . التشرد؛ . اليتم والفواجع؛ . المشاهد العنيفة؛.

الإرغام على ارتكاب أعمال عنف الاضطراب في التربية والتعليم وقد تصاحب هذه الحالات نوع من الفوبيا المزمنة من الأحداث أو الأشخاص أو الأشياء التي ترافق وجودها مع وقوع الحدث مثل الجنود، صفارات الإنذار، الأصوات المرتفعة، الطائرات.... وفي بعض الأحيان يعبر الطفل عن خوفه بالبكاء أو العنف أو الغضب والصراخ أو الانزواء في حالة من الاكتئاب الشديد....

إلى جانب الأعراض المرضية مثل الصداع، المغص، صعوبة في التنفس، التقيؤ، التبول اللاإرادي، انعدام الشهية للطعام، قلة النوم، الكوابيس، آلام وهمية في حال مشاهدته لأشخاص يتألمون أو يتعرضون للتعذيب، وفي حال مشاهدة الطفل لحالات وفاة مروعة لأشخاص مقربين منه أو جثث مشوهة أو حالة عجز لدى مصادر القوة بالنسبة له؛ مثل الأب والأم يصاب عندها بصدمة عصبية قد تؤثر على قدراته العقلية.

وغالباً ما تظهر هذه المشاعر التي يختزنها الطفل أثناء اللعب أو الرسم، فنلاحظ أنه يرسم مشاهد من الحرب كأشخاص يتقاتلون أو يتعرضون للموت، والإصابات وأدوات عنيفة أو طائرات مقاتلة وقنابل ومنازل تحترق أو مخيمات ويميلون إلى اللعب بالمسدسات واقتناء السيارات والطائرات الحربية....

حيث يجدون في ألعاب العنف هذه خير ملاذ للتعبير الحي عن انعكاسات تلك المظاهر وقد وجدت الدراسات الاجتماعية تبريرات لا إقبال الأطفال على اقتناء لعب العنف، حيث أن ظاهرة إقبال الأطفال على اقتناء اللعب النارية ظاهرة خطيرة يمارسها الأطفال، وأن لها نتائج سلبية كثيرة على حياتهم وحياة الآخرين، ومن ثم خلق نوع من الاضطراب لديهم، فالطفل لا يستطيع أن يعي ما تؤدي إليه هذه اللعبة، فهو قد يتصورها لعبة يتسلى بها ولكن نتائجها وخيمة. وتحصر أسبابا عديدة لهذه الظاهرة منها تأثره بما يشاهده؛ سواء في الوسط الذي يعيشه آو عن طريق

وسائل الإعلام كالفضائيات آو ما يشاهده في الشارع، والطفل بطبيعته يحب التقليد وعن طريق الإيحاء والعدوى الاجتماعية يمكن انتشار استعمال هذه اللعب، والتي تحول الطفل من الجانب التربوي إلى واحدة من حالتين؛ الأولى تخيفه وترهبه والثانية تشجعه على التخويف والإرهاب، وفي كلا الحالتين تؤدي بالطفل إلى مرض نفسي خطير، فإذا لم تمرضه نفسيا فإنها تجعله متقلب المزاج وعندما يكبر سيتساءل أيهما اهم السلاح أم الحاجات الأخرى التي يحتاجها المجتمع..، فإذا تبين له أن السلاح أهم تشجع على خوض الحروب أو يشجع عليها، أما إذا أحس أن العكس هو المطلوب لتوفير الحاجات الأساسية للناس، وهذا ما يؤدي به إلى كره أهله على الخطأ الذي ارتكبوه وهو تشجيعهم له في الطفولة على اقتناء الأسلحة على شكل العاب. وكل هذه الأعراض مر بها الطفل الفلسطيني. أثناء الحروب الإسرائيلية المتكررة.

دور الأهل

تخلص توجيهات المختصين في هذا المجال أنه على الأهل في حال تعرض الطفل لظروف مروعة أن يبده مباشرة بإحاطتهم بالاطمئنان ولا يتركوهم عرضة لمواجهة هذه المشاهد دون دعم نفسي وذلك عن طريق الحديث المتواصل معهم وطمأنتهم بأن كل شيء سيكون على ما يرام وأنهم لن يصيبهم شيء مع التركيز على بث كلمات من الحب أو تشتيت فكرهم عن التركيز في الحدث المروع خاصة في أوقات الغارات المخيفة في حال وقوعها على مقربة منهم، فهذه اللحظة هي الأهم في حياة الطفل النفسية وكلما تركناه يواجهها وحده يزداد أثرها السلبي بداخله على المدى القريب والبعيد.

وبالنسبة للأطفال الأكبر سناً يمكن مناقشة ما يجري معهم وإقناعهم بأنهم في مكان آمن أو أن القصف لن يطالهم وأن الأهل متخذين كافة الاحتياطات

لحمايتهم، مع ضرورة عدم منعهم من البكاء أو السؤال عما يجري والحديث عنه فمن الضروري معرفة ما يدور في تفكير الطفل وأن نترك لمشاعره العنان في هذه الأوقات حتى لا تتراكم الصدمة....

ويمكن تشجيعهم على الحديث بمبادرة من الأب أو الأم للتعبير عن مشاعرهم مع اختيار الأسلوب والألفاظ التي يمكن للطفل استيعابها والتجاوب معها، ومن المهم أيضاً أن يراقب الآباء تصرفاتهم ويحاولوا المحافظة على الحالة الطبيعية لهم وقوة التحمل وتلطيف الأجواء ليبثوا الثقة في نفوسهم، وألا يتغير أسلوب الحياة بشكل كبير وبقدر المستطاع.

(خلال العام 2008 عدد الأطفال الذين اجبروا على النزوح والفرار من ديارهم تحت القصف والعنف كلاجئين بلغت 18 مليون طفل في العالم العربي).

-آثار الحرب على اطفال الجزائر:

الطفل الجزائري أثناء الاستعمار: أما عن جحيم الاستعمار فإنا لن أتكلم عن هذا الموضوع بل سأذكر ما قاله جنرالات فرنسا:

يقول "**مونتانياك**":

إن الجنرال "**لاموريس يير**" يهاجم العرب ويأخذ منهم كل شيء: نساء وأطفالا ومواش. يخطف النساء، يحتفظ ببعضهن رهائن والبعض الآخر يستبدلهن بالخيول، والباقي تباع في المزاد كالحيوانات، أما الجميلات منهن فنصيب للضباط. (معسكر 31 مارس1843).

ويقول"**مونتانياك**:"

النساء والأطفال اللاجئون إلى أعشاب كثيفة يسلمون أنفسهم لنا، نقتل، نذبح،

صراخ الضحايا واللاقطين لأنفاسهم الأخيرة يختلط بأصوات الحيوانات التي ترغي وتخور كل هذا آت من سائر الاتجاهات، إنه الجحيم بعينه وسط أكداس من الثلج إن كل ذلك في هذه العمليات التي قمنا بها خلال أربعة أشهر تثير الشفقة (**31 / مارس/ 1842**).

لا ننسى أيضا ما تعرض له الطفل الجزائري طيلة 7 سنوات من الثورة المباركة والتي ما زالت الجزائر حتى الآن بعد 50 عام من الاستقلال تعاني من هذه الآثار وتعالج هذه الحالات وما نشأ عنها في المؤسسات المختلفة.

آثار الحرب على أطفال فلسطين:

بعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة (2008_2009) نشرت الجزيرة نت مثالا حيا على آثار الحرب على أطفال غزة، وجاء في التقرير:

أصوات القنابل والصواريخ الإسرائيلية وقذائفها ما زالت تتساقط على مخيلة الطفلة نهاد جودة، منتزعةً ضحكاتها البريئة لتغرس مكانها صور الفزع والخوف والترقب.

فأشلاء أطفال غزة وجثثهم التي تناثرت في كل جانب جراء الهجمة الإسرائيلية الشرسة على القطاع، شكلت صدمة نفسية كبيرة في أعماق من نجا من هؤلاء الأطفال الذين بات شبح الموت يلاحقهم في أحلام نومهم ويقظتهم.

فحال الطفلة نهاد ابنة الثمانية أعوام من مخيم الشاطئ غرب غزة، هي نفس الحال التي تعصف بآلاف الأطفال الغزيين الذين لم يتمكنوا من الخروج حتى هذه اللحظة من دوامة القتل والصدمة النفسية التي خلفتها صور المجازر الإسرائيلية.

فإن نهاد لا تقوى على الذهاب إلى مدرستها التي لا تبعد سوى بضعة مئات من الأمتار عن بيتها إلا بصحبة شقيقها الأصغر خليل، لشدة خوفها من معاودة

طائرات الاحتلال التي لا تفارق سماء غزة قصف أهداف مدنية على مقربة من مدرستها.

وقالت نهاد للجزيرة نت "في كل لحظة وفي كل خطوة أخطوها أخشى أن يسقط على صاروخ إسرائيلي يميتني ويمزقني، كما فعل بالكثير من الأطفال أمثالي.

أعراض الصدمة:

أما والدة الطفلة نهاد التي حضرت بصحبتها إلى مستشفى الطب النفسي بغزة لمساعدتها على الخروج من الصدمة النفسية التي ألمت بها، فقالت إن ابنتها لم تعد تنام بشكل جيد أثناء الليل وتشعر بالخوف والهلوسة وتصيبها أحيانا حالة من الرعشة، فضلا عن تكرار التبول اللاإرادي.

وأضافت أم خليل في حديثها للجزيرة نت أنها قدمت إلى المستشفى من أجل إخضاع ابنتها نهاد لبرنامج تأهيل نفسي؛ بعد تدهور حالتها النفسية، وعجزها عن الاندماج مع أسرتها داخل المنزل ومع قريناتها في المدرسة.

فالتوابع والأضرار النفسية الكبيرة التي لحقت بأطفال غزة بدأت تتكشف للمعنيين والعاملين في حقل الصحة الفلسطينية بمجرد انقشاع دخان الحرب، ما دفعهم للخروج بطواقم تضم مختصين نفسيين لحصر طبيعة الآثار النفسية التي خلفتها 22 يومياً من الحرب المتواصلة على سكان القطاع وتقييمها.

وأكد مدير مركز الأزمات والطوارئ في الصحة النفسية بغزة الدكتور حسن الخواجة أن مئات الآلاف من أطفال غزة وكبارها أصيبوا بصدمات نفسية عنيفة نتيجة الحرب الإسرائيلية الأخيرة، بسبب تعرضهم لمشاهد عنيفة.

وأشار إلى أن أعداد الحالات التي تتوافد على المصحة النفسية ارتفعت بشكل كبير بعد انتهاء الحرب، وذكر للجزيرة نت أن نصف أطفال غزة تعرضوا لصدمات

نفسيه شديدة خلال الفترة الأخيرة من العدوان. وتمثلت هذه الصدمات –حسب رأيه–في إصابتهم بأعراض جسدية وسلوكية ونفسية نجمت عنها اضطرابات أثناء النوم أو النوم الزائد، إلى جانب الخوف والأحلام والكوابيس، وأعراض متعددة تختلف من حالة إلى أخرى.

انعكاسات مستقبلية:

وعبر الخواجة عن خشيته من امتداد الآثار النفسية التي خلفتها الأحداث الأخيرة على نفوس الأطفال والكبار عدة أعوام قادمة، مضيفا أن توابع الحدث ما زلت تلقي بظلالها على الحالات المرضية.

من جانبه أبدى الأخصائي النفسي رياض الأقرع تخوفه العميق من انعكاس الآثار النفسية المتكدسة على سكان القطاع وأطفالهم على مستقبل أجيالهم القادمة.

وحذر الأقرع خلال حديثه للجزيرة نت من التوابع المستقبلية للآثار النفسية، وعبر عن خوفه مما ستحدثه من تأثير على نسيج المجتمع الغزي قد يؤدي إلى سلب الأطفال القدرة على التكيف والتأقلم مع أقرانهم في المجتمع، إلى جانب إضعاف القدرة الإنتاجية للمجتمع.

يشار إلى أن الحرب الإسرائيلية على غزة قتلت 420 طفلا؛ من إجمالي عدد الشهداء البالغ 1341 شهيدا حسب المصادر الطبية الفلسطينية.

أطفال فلسطين:

عام 1989 أجرى اتحاد المرأة الفلسطينية دراسة بعنوان "الانتفاضة والطفل الفلسطيني تحت الاحتلال"؛ من أهم نتائجها 56.6 بالمئة من الأطفال يعانون من القلق المرضي؛ 11.1 بالمئة لم يتم نشر نتائجهم لعجزهم لكيفية التعامل معهم من شدة آثار الحرب عليهم.

الأطفال الأسرى في سجون الاحتلال الاسرائيلي:

أكد المركز الفلسطيني للإعلام أنه:

يتعرّض 321 طفلاً فلسطينياً أسيراً بينهم 11 طفلة لشتى أشكال التعذيب والقمع والتنكيل والإهمال الطبي في سجون الاحتلال، فالأطفال الأسرى يعيشون حالة رعب وخوف دائمين بسبب الاعتداءات الوحشية التي يتعرضون لها على أيدي السجّانين الصهاينة، حيث يجبر المحققون الأطفال على الاعتراف بالمشاركة بفعاليات الانتفاضة تحت ضغط التعذيب الوحشي من ضرب وشبح وعزل وتنكيل، بالإضافة لممارسة ضغوط نفسية مذلة على الطفل.

وتعمد السلطات الصهيونية إلى زجّ الأطفال الأسرى مع عصابات المخدرات والقتلة والمغتصبين والمدمنين، وهو ما يشكل تهديداً لحياتهم، خاصة بعد أن قام السجناء الجنائيون بالاعتداء على الأطفال بالشفرات الحادة وتهديد بعضهم بالاغتصاب والتحرش الجنسي.

ويوضح تقرير صدر مؤخراً عن دائرة الطفولة والشباب في وزارة شؤون الأسرى والمحررين أن الأطفال الأسرى في سجون الاحتلال والبالغ عددهم 321 طفلاً بينهم 4 بالمائة معتقلون دون تهم محددة (اعتقال إداري)، و3 بالمائة من البنات، و64بالمائة من الأطفال الأسرى موقوفون، و56 بالمائة من الأطفال محتجزون في سجون داخل الكيان الصهيوني، و27 بالمائة من الأطفال الأسرى من منطقة نابلس فقط، علماً بأن هناك أكثر من 450 أسيراً كانوا أطفالاً لحظة اعتقالهم، وتجاوزوا سن 18 عاماً ولا يزالون في الأسر حتى الآن.

وتحرم سلطات الاحتلال الأطفال الأسرى من أبسط الحقوق التي تمنحها لهم المواثيق الدولية، هذه الحقوق الأساسية التي يستحقها المحرومون من حريتهم،

بغض النظر عن دينهم وقوميتهم وجنسهم وديانتهم، وتشمل هذه الحقوق على الحق في عدم التعرض للاعتقال العشوائي، والحق في معرفة سبب الاعتقال، والحق في الحصول على محامٍ، وحق الأسرة في معرفة سبب ومكان اعتقال الطفل، والحق في المثول أمام قاضٍ، والحق في الاعتراض على التهمة والطعن فيها، والحق في الاتصال بالعالم الخارجي، والحق في معاملة إنسانية تحفظ كرامة الطفل المعتقل.

ويؤكد التقرير، أن الأطفال الفلسطينيين الأسرى في السجون والمعتقلات الصهيونية، يعانون من ظروف احتجاز قاسية وغير إنسانية، تفتقر للحد الأدنى من المعايير الدولية لحقوق الأطفال وحقوق الأسرى، ويشير إلى أنهم يعانون من نقص الطعام ورداءته، وانعدام النظافة، وانتشار الحشرات، والاكتظاظ، والاحتجاز في غرف لا يتوفر فيها تهوية وإنارة مناسبتين، والإهمال الطبي وانعدام الرعاية الصحية، ونقص الملابس، وعدم توفر وسائل اللعب والترفيه والتسلية، والانقطاع عن العالم الخارجي، والحرمان من زيارة الأهالي، وعدم توفر مرشدين وأخصائيين نفسيين، والاحتجاز مع البالغين، إضافة إلى الاحتجاز مع أطفال جنائيين صهاينة، والإساءة اللفظية والضرب والعزل، والعقوبات الجماعية، وتفشي الأمراض. كما أن الأطفال محرومون من حقهم في التعلم.

يوجد من بين الأطفال الأسرى حوالي 30 طفلاً مريضاً، أي ما نسبته 7 بالمائة من عدد الأطفال الأسرى. والأطفال الأسرى محرومون من الرعاية الصحية والعلاج الطبي المناسب. وعادة ما تكون أقراص المسكنات هي العلاج لمختلف أنواع الأمراض.

ووفقا لإفادات الأطفال الأسرى، فإن سلطات وإدارات السجون ترفض إخراج الأطفال المرضى إلى عيادات السجن، وحتى إن أخرجتهم فإنهم يتعرضون للضرب والشتائم والمضايقات حتى من الأطباء والممرضين. كذلك؛ فإن إدارات السجون لا توفر طبيبا مقيما بشكل دائم في عيادة السجن. ولا تزال سلطات الاحتلال تماطل وأحيانا ترفض إجراء عمليات جراحية للأطفال المصابين بأمراض تستدعي عمليات جراحية فورية، فهناك أطفال بحاجة إلى عمليات لإزالة شظايا أو رصاص من أجسادهم، وهناك أطفال يعانون من أمراض نفسية، ومن أمراض عيون وأذن، وتفيد إحصائيات وزارة الأسرى أن حوالي 40% من الأمراض التي يعاني منها الأطفال الأسرى هي ناتجة عن ظروف اعتقالهم غير الصحية، وعن نوعية الأكل المقدم لهم، وناتجة عن انعدام النظافة.

وتتخذ سلطات الاحتلال من قضية الأسرى الفلسطينيين مورد دخل دائم، من خلال سياسة فرض غرامات مالية جائرة وباهظة عليهم، منوهة إلى أن قاعات المحاكم العسكرية الصهيونية تحولت إلى سوق لابتزاز ونهب الأسرى وذويهم، الأمر الذي أرهق كاهل عائلاتهم في ظل الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث أن غالبية الأسرى يحكم عليهم بدفع غرامات مالية، مصحوبة بأحكام بالسجن في المحاكم العسكرية الصهيونية، خاصة في محكمتي "عوفر" و"سالم" العسكريتين.

الأطفال حسب الوضع القانوني والنوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	عدد الأطفال الأسرى	موقوف	محكوم	إداري
ذكور	310	196	100	14
إناث	11	8	2	1
المجموع	321	204	102	15

الأطفال الشهداء في فلسطين:

رام الله 2012/11/20-قالت الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، فرع فلسطين، إن حوالي 23% من الشهداء الذين سقطوا في قطاع غزة نتيجة العدوان الإسرائيلي المتواصل عليه، هم من الأطفال، بناء على أحدث التقارير الإعلامية التي أشارت إلى أن عدد الشهداء بالقطاع منذ بدء العدوان على قطاع غزة سبعة أيام وصل لـ 115 شهيدا بينهم 27 طفلا.

وأشارت الحركة، في بيان صحفي الأربعاء، إلى أن الأطفال لم يكونوا بمأمن من العنف والقصف قبيل بدء العملية العسكرية الإسرائيلية الأخيرة على قطاع غزة في 14 تشرين 2012، وفقا للبيانات التي جمعتها الحركة في الأسابيع التي سبقت العملية، تعرض قطاع غزة لاستهداف إسرائيلي أرضي وجوي وطائرات بدون طيار، أسفرت عن استشهاد ثلاثة أطفال وإصابة ستة آخرين.

أشارت إحصائية، أعدها الفرع الفلسطيني في الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، إلى أن عام 2006 شهد أعلى نسبة استشهاد بين الأطفال الفلسطينيين، حيث وصل عدد الأطفال الشهداء إلى 127، وأرجع التقرير ارتفاع نسبة الشهداء بين الأطفال الفلسطينيين إلى تصعيد الاحتلال الصهيوني لعدوانه ونشاطه العسكري داخل فلسطين المحتلة، وفقًا لما ذكرته وكالة القدس براس.

كما أوضح التقرير أن جيش الاحتلال الصهيوني لم يكترث في عدوانه بحياة السكان المدنيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتجلى ذلك من خلال استخدام الأسلحة العسكرية المتطورة، مثل الصواريخ والطائرات الحربية من طراز إف16 في مناطق سكنية كثيفة.

وأكد التقرير كذلك إلى عدم احترام الكيان لكافة العهود والمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، والقواعد التي ترمي لحماية المدنيين في أوقات النزاع المسلح (كما وردت في القانون الإنساني الدولي)، مشيرًا إلى أنه على مدار العام 2006 استخدم الكيان القوة العسكرية المفرطة ضد المدنيين الفلسطينيين.

وأشار التقرير إلى أنه على الرغم من سحب الاحتلال لقواته العسكرية والمستوطنين من قطاع غزة عام 2005، إلا أن تلك المنطقة ما زالت محتلة، حيث تعرض المدنيون، بمن فيهم الأطفال، إلى العديد من الانتهاكات للقانون الإنساني الدولي في العام 2006، حيث أوقعت اثنتين من الهجمات العسكرية الإسرائيلية الواسعة النطاق عام 2006 الكثير من الإصابات في صفوف المدنيين والكثير من التدمير واسع النطاق ضد البنية التحتية المدنية.

ويشير التقرير إلى أن عدد الأطفال الفلسطينيين الذين استشهدوا عام 2006 يزيد عن ضعف الذين استشهدوا عام 2005، حيث بلغ عددهم في ذلك العام 52 طفلاً. كما أن 85% من وفيات الأطفال في عام 2006 وقعت في قطاع

غزة، ومن بين الـ 124 طفلاً فلسطينيًا الذين استشهدوا في عام 2006، فإن 31% منهم كانوا في سن12 عامًا أو أقل.

وأنهى التقرير إحصاءاته بإشارته إلى أن عام 2006 لم يمر فيه شهر بدون استشهاد طفل فلسطيني نتيجة لتصرفات جيش الاحتلال الصهيوني، وبالفعل، كان متوسط عدد الأطفال الشهداء 10 في الشهر الواحد، ووصل عدد الأطفال الفلسطينيين الشهداء في شهر يوليو من ذلك العام إلى نحو 40 طفلاً، مما يعادل نحو ثلث عدد الأطفال الشهداء خلال عام.

أول حادثة موثقة لقتل الأطفال في فلسطين:

تعود أول حادثة موثقة قام فيها جيش الدفاع الإسرائيلي بقتل أطفال فلسطينيين إلى نوفمبر عام 1950، حينما تم إطلاق النار على ثلاثة أطفال فلسطينيين تبلغ أعمارهم 8 و10 و12 من قرية فيدير أيوب أطلق النار عليهم من مدفع رشاش "ستن"، وفي فبراير عام 1953 واستشهد 4 أطفال تتراوح أعمارهم بين 6 و14 عامًا بنيران مدفع آلي أثناء الغارة على بيت جالا عام 1952.

وفقًا للصحفية أميرة حاس، تم نقل 54 قاصرًا إلى عيادات الأونروا بجروح في الرأس في الفترة من أغسطس عام 1989 إلى أغسطس عام 1993.

وحسب تقديرات رابطة الأطباء الإسرائيليين–الفلسطينيين من أجل حقوق الإنسان، كان يصاب طفل أقل من ستة أعوام بطلق ناري في الرأس كل أسبوعين.

الانتفاضة الفلسطينية :

ووفقًا للحركة العالمية للدفاع عن الأطفال:"استشهد 383 طفلاً أو نسبة 64.4% من إجمالي 595 طفلاً استشهدوا في الفترة من 29 سبتمبر 2000 إلى 30 يونيو

2004.

التعليم بعد النكبة:

التعليم بالنسبة للفلسطينيين مقدس ففي العام 1948 أي إثر النكبة وطرد الفلسطينيين من مدنهم وقراهم لجأوا إلى المناطق التيلا تحتلها إسرائيل في داخل في فلسطين والدول العربية المجاورة، ففي المخيمات التي أقيمت لهم من طرف الأمم المتحدة التي أنشأت لأول مرة (الأونروا) أي وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ففي هذه المخيمات وأنا اخص بالذكر غزة التي عشت فيها خصص اللاجئون خيمة وحولوها إلى مدرسة لتعليم أبنائهم، وهي لا تتوفر فيها أي مقومات المدرسة، كما تبرع عدد من المعلمين الذين كانوا في مدارس المدن التي هاجروا منها لتعليم الأطفال؛ الذين كانوا يجلسون على الرمل ويكتبون على ما تيسر لهم من أوراق ودفاتر وأقلام في أحسن الأحوال، واستمروا في التعليم في هذه الظروف السيئة حتى أن وفرت الأونروا البيوت الجاهزة لتكون مدرسة، وتكفلت فيما بعد بدفع رواتب المعلمين وتوفير الأدوات المدرسية اللازمة واستمر، هذا الوضع عدة سنوات إلى أن أصبح هناك مدارس للاجئين، كما أن المدارس التي كانت توجد في تلك المدن فتحت أبوابها وأصبحت الدراسة على فترتين صباحية لتلاميذ سكان غزة، ومسائية للاجئين لأنها لا تكفي لكل أعداد اللاجئين، وركز الفلسطينيين على التعليم ونجحوا في ذلك، وأصبح الفلسطينيون الآن يمثلون أعلى نسبة تعليم في العالم العربي؛ لاسيما في قطاع غزة والأردن ونبغ منهم الكتاب والعلماء والشعراء وفي كل التخصصات، وهم يعملون الآن في معظم دول العالم مهنيين ومتخصصين وعلماء بفضل تضحيات آبائهم وأمهاتهم وبفضل المعلمين المتطوعين أولا؛ وكل هؤلاء لازالوا يذكرون ذلك، وعندما نلتقي في المؤتمرات نتحدث ونتذكر تلك التضحيات والجهود الجبارة التي بذلناها متغلبين على الجوع والفقر والغربة...الخ.

ولا ننسى أبدا أن الطائرات الإسرائيلية تغير وتقصف المخيمات والمد ارس وترعب الأطفال حتى الآن، ناهيك عن المرضى من الأطفال والمصابين الذين يموتون على المعابر المغلقة لعدة أيام أو شهور على معبر رفح مع مصر أو بيت حانون مع إسرائيل (الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948)، وهي المنفذ الوحيد لسكان القطاع وعن طريقها تدخل المواد الغذائية الكهرباء والمنتجات والغاز التي تتحكم بها إسرائيل، وحتى الطلبة الذين يدرسون في الخارج يبقوا أياما وشهورا عالقين على المعابر. وقد ذهبت بعض الوفود كالهلال الأحمر الجزائري وجمعية العلماء المسلمين وحملوا معهم بعض المساعدات ورأوا بأم أعينهم معاناة السكان.

وهذه الاعتداءات والحصار تترك أثارا على الأطفال والكبار الذين تعرضوا لها، وهم أطفال وما زالوا وهم الآن كبار وآباء منذ أكثر من 60 عام وهذا ما يميز الأطفال الفلسطينيين هم وآبائهم عانوا وأجدادهم، أيضا بينما الشعوب الأخرى يعانون لفترة زمنية محددة.

تجربة ذاتية:

غادرنا بيتنا ومدينتنا بئر السبع اللواء الجنوبي في فلسطين تحت الانتداب البريطاني على فلسطين في 15_5_1948 بعد أن تعرضت المدينة الهادئة، وهي مدينة على نمط هندسة مدينة نيويورك (مربعات تحيطها الشوارع من الجهات الأربعة العريضة النظيفة ومبانيها ومنازلها الصغيرة المتواضعة الجميلة، ومناخها الذي يغلب عليه المناخ الصحراوي، والهواء الجاف وكانت مركزا ووجهة المرضى الذين يعانون من أمراض التنفس_ الربو.....)، كما كان يتوافد عليها البدو سكان النقب، حيث كانت المركز الإداري والقضائي، وكذلك السوق الأسبوعي لبيع مناجاتهم وشراء حاجياتهم، وقد كان والدي رحمة الله عليه أحد أكبر وجهاء المدينة، وكان بيتنا يستقبل الضيوف الزوار من جميع أنحاء المدن الفلسطينية.

ودائما تأخذني الذاكرة إلى أيام طفولتي إلى بيتي إلى الحديقة إلى المنطقة التي انتمي إليها والتي فقدناها، ولا يحق لي العودة إلى منزلي ومدينتي لأنها أصبحت محتلة (منطقة إسرائيلية)، ففي تلك الفترة لم يكن الفلسطينيون أصحاب الأرض الأصليون ليس لديهم أية أسلحة أو وسائل قتال، يقاومون بصدورهم العارية والسلاح الأبيض والبنادق والمسدسات في أحسن الأحوال، بينما في تلك الفترة كان اليهود يمتلكون كل أنواع الأسلحة الحديثة والثقيلة من مصفحات ودبابات بل وطائرات حربية، فكانت الطائرات الحربية تغير على البلدة ونحن لا نملك أي أسلحة مضادة للطائرات الحربية ولا للدبابات .الخ.

فخرجت العائلات إلى المناطق المجاورة للمدينة في الصحراء وكنا من بينهم، وبقي الرجال في المدينة مقاومون العدو بأسلحة بدائية، وبقينا أي العائلات نسير في الصحراء متخذين دليلا من البدو أصحاب البلاد مشيا على الأقدام هربا من الطائرات الإسرائيلية دون طعام أو شراب، وعندما نرى حفرة صغيرة من مياه الأمطار النادرة، نهجم عليها لسد الرمق، وكل واحد منا يقول للآخر يكفيك أترك لنا بعض قطرات الماء لنشربها.

كما لا أنسى أن سيدة تركت طفلتها المريضة وواصلت المسيرة مع الناس، لأنها كانت متعبة وحامل وتحمل طفلة أخرى عمرها سنتين، والأب يحمل الابن الأكبر فكان البعض يساعدها، ولكنهم هم أيضا متعبون وكان زوجها لا يستطيع السير من التعب. وعندما رأيتها تبكي على طفلتها بكيت معها وقلت سأحملها لك لنعد لاسترجاعها، فبكت لأنها تعرف بأنني أيضا طفلة ولا أستطيع حملها لكنا عدنا واسترجعنا الطفلة وتعاونا جميعا على مساعدتها لكن الطفلة توفيت الثناء المسير، لا أستطيع إن أنسى تلك المأساة وهي دائما ماثلة أمامي ولكنها لم تكن الوحيدة فان

أسرا أخرى ضحت بأطفالها الرضع من أجل إنقاذ الأكبر سنا فهذه من بعض الجرائم الإسرائيلية.

استطاع أحد المتغربين معنا استباقنا سيرا على الأقدام إلى غزة، حيث أخبر أخي الأكبر الذي كان هناك حينها أننا تائهين في الصحراء، فأرسل لنا شاحنة، بعد أن سرنا أكثر من نصف المساحة بين بئر السبع وقطاع غزة، وعندما وصلت الشاحنة ركبنا جميعا بعضنا فوق بعض في الشاحنة، والطائرات الحربية الإسرائيلية تلاحقنا وتطلق علينا غارتها العشوائية ونختبأ في الرمل في العراء.

وصلنا إلى خانيونس، ونزلنا في بيت عمنا فكنا من المحظوظين بينما الآخرين لم يجدوا مأوى، لاحقتنا الطائرات الإسرائيلية، فخرجت أنا وابنة عمي نادرة إلى الشارع وما إن انتهت الغارة وفتحت عيني حتى ارى ابنة عمي الي جانبي تسبح في دمائها فقد أصيبت وفقدت ساقها، وبجانبنا ابن عمي الثاني يتضرع في دمائه فقد إصابته قنبلة قاتلة فتوفي على الفور ونظرت لنفسي فيما بعد فقد كانت ملابسي كلها سوداء وشظايا القنابل الرقيقة في شعري وجسمي ولم اصدق انني ما زلت حية حيث ان عدد من الجثث كانت حولي.

وتوالت الهجمات والغارات ونحن نودع يوميا الأهل والأصدقاء والجيران والأحباء أطفالا وكبارا من جميع الأعمار، وبقي الوضع هكذا حتى أقرت الهدنة في العام 1949 بتدخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، وكانت إسرائيل تصب على اللواء الجنوبي قنابلها القاتلة وتحاول أن تبقي احتلالها لمدينة بئر السبع ومنطقة النقب لان الخطة الإسرائيلية كانت تعد مشروعها النووي لا نشاء مفاعل (ديمونة) في النقب وتستولي على المنطقة الاستراتيجية، وان يكون لها منفذ على البحر الأحمر لتأمين الدولة الإسرائيلية المستقبلية وهذا حدث، حيث فتحت جامعة متخصصة للعلوم والتكنولوجيا في بئر السبع، وصنعت فيما بعد القنبلة الذرية بمساعدة فرنسا

آنذاك وأصبحت الدولة النووية الوحيدة في الشرق الأوسط، ولا احد يتكلم او يعترض وضربت مفاعل (تموز) في العراق وسوريا وتعارض مشروع إيران الآن. لتبقى هي القوة النووية الوحيدة في المنطقة وحاولت منع مصر والجزائر من امتلاك الذرة للأغراض السلمية وتساندها كل من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية.

هذا بعض ما تعرضنا له ولا أنسى ولن أنسى بيتنا ولا مدينتنا فهي محفورة في دماغي ... ولم انس أبي الذي لم يتحمل صدمة ونكبة انه فقد بيته ومدينته ومجده فأصيب بشلل نصفي رافقه حتى وفاته. فهذه ذكريات منذ الطفولة لكنها محفورة في أدمغتنا. ولحد الآن عندما احلم في الليل فالمكان دائما بيتنا في بئر السبع حتى وان كان الأشخاص هم من الحاضر. فالطفل لا ينسى أبدا بيته ومحيطه وأهله وزملاء المدرسة .....الخ.

لكن هذه النكبة والمأساة الكبرى للشعب الفلسطيني لم يتعرض لها شعب آخر، أن يطرد شعب من أرضه وبيته لكي يحل مكانه في بيته وأرضه مهاجرين آخرين، ليست لهم أي صلة لا هم ولا أجدادهم منذ ألاف السنين على أساس ديني فقط. فهل يعني ذلك ان يأتي جميع المسيحيين من العالم إلى فلسطين بحجة ان السيد المسيح ولد في مدينة بيت لحم في فلسطين؟

المراجع:

1. تقارير منظمات الأمم المتحدة: الأونروا، اليونيسف، اليونسكو
2. تقارير الجمعية العامة للأمم المتحدة.
3. المرجع الفلسطيني
4. اتحاد المرأة الفلسطينية

5-Human Watch Right